تاريخ الزمن الراهن، مواقف وتجارب
History of the present time, Attitudes and experiences

الدكتور/ عبد المجيد الهلالي
جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب.
hamidhilali2002@hotmail.com

تاريخ الإرسال: 2020-06-01 تاريخ القبول: 2020-06-16 تاريخ النشر: 2021-01-25

Abstract :

This study sheds light on a new field in the of historical writing discipline, and it is related to what has become to be known as the present-time history, in which it has been observed in recent years, a great demand by historians to address recent periods and events, motivated by the desire to understand what is happening in the present, which contributed to the revitalization and activity of historical research and studies.

The study also discusses the general context of the emergence of the present-time history and the problem of its definition, as this new field was associated with the emergence of what is known in political literature as "**Transitional Justice**", and the related follow-up and fact-finding, through frameworks such as the fact-finding committees in Argentina in 1983, and Chile in 1990, the famous Truth and Reconciliation Commission to address committed human rights crimes of apartheid in South Africa in 1995.

The research also examined the problem of the sources approved in writing the history of the present time, including archives, oral stories and the diaries of the actors/militants, with the

accompanying difficulties and constraints in the employment of these sources, which made some question the credibility of writing the present history, and confirms that the historian deviates from his specialty and storms into specialties that he has no right to; such as political science, sociology and anthropology.

The research found that the experiences of writing the present-time history were multiple and varied, and included developed countries and developing countries, and received varying successes, as well as documentary accumulations and distinguished academic research, refuted all the criticisms directed to the present-time historian.

Keywords: *transitional justice - memory - the present-time history - time distance – the historian - archive – oral stories - recent history.*

الملخص

يسلط هذا البحث الضوء على حقل جديد على مجال الكتابة التاريخية، ويتعلق الأمر بما بات يعرف بتاريخ الزمن الراهن، حيث لوحظ في السنوات الأخيرة، إقبال كبير من طرف المؤرخين على تناول الفترات والأحداث الأكثر قرباً، بدافع الرغبة في فهم وإدراك ما يحدث في الحاضر، مما أسهم في إعادة الحيوية والنشاط للأبحاث والدراسات التاريخية.

كما يناقش المقال السياق العام لظهور تاريخ الزمن الراهن وإشكالية تعريفه، حيث اقترن هذا الحقل الجديد بظهور ما يعرف في الأدبيات السياسية ب"العدالة الانتقالية"، وما ارتبط بها من متابعات وتقصي الحقائق، من خلال إطارات مثل لجنتي تقصي الحقائق في الأرجنتين سنة

1983، والشيلي سنة 1990، ولجنة الحقيقة والمصالحة الشهيرة لمعالجة جرائم حقوق الإنسان السابقة للأبارتيد بجنوب أفريقيا سنة 1995.

كما عرج البحث على إشكالية المصادر المعتمدة في كتابة تاريخ الزمن الراهن من أرشيفات ورواية شفوية ومذكرات الفاعلين، مع ما يرافق توظيف هذه المصادر من صعوبات وإكراهات، جعلت البعض يشكك في مصداقية كتابة التاريخ الحاضر، ويؤكد أن المؤرخ يخرج عن تخصصه ويقتحم تخصصات لا حق له فيها؛ كالعلوم السياسية وعلم الاجتماع والأنتروبولوجيا. وقد توصل البحث إلى أن تجارب كتابة تاريخ الزمن الراهن كانت متعددة ومتنوعة، وشملت دولا متقدمة وأخرى سائرة في طريق النمو، ولقيت نجاحات متفاوتة، كما حققت تراكمات توثيقية وبحوث أكاديمية متميزة، فندت كل الانتقادات التي تعرض لها مؤرخ الزمن الراهن.

الكلمات المفاتيح: العدالة الانتقالية – الذاكرة – تاريخ الزمن الراهن – المسافة الزمنية – المؤرخ – الأرشيف – الرواية الشفوية – التاريخ القريب.

مقدمة

يرتبط موضوع التاريخ ارتباطاً وثيقاً بالماضي والفائت، وهي فكرة نجدها مرسخة عند العام والخاص، وتزداد ترسيخاً حينما تؤكدها كتابات مؤرخين كبار أمثال عبد الرحمن بن خلدون؛ الذي دقق في تعريف التاريخ وحدد مهامه، واعتبره «*فن عزيز المذهب، جم الفوائد شريف الغاية، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضيين من الأمم في أخلاقهم والأنبياء في سيرهم والملوك في دولهم وسياستهم ...*»[1]. غير أن أحوال الماضيين وأخبارهم قد تكون ضاربة في

عمق التاريخ، وقد تكون قريبة من زمن المؤرخ، وفي أحيان أخرى تكون ضمن الزمن الذي يعيش فيه، الشيء الذي يجعله مضطرباً ومتردداً في تناول ما يعاصره بالدراسة والتحليل.

وقد ظل مؤرخو الفترة المعاصرة يعانون من المشكل نفسه، ففضلت معظم المدارس التاريخية تناول الحقب الماضية على دراسة الفترات الراهنة، وبالتالي ظلت هذه الأخيرة – سواءً في الدول المتقدمة أو في نظيرتها المتخلفة – حكراً على الصحفيين و الباحثين في السوسيولوجيا والأنتروبولوجيا وكذا العلوم السياسية. لكن في السنوات الأخيرة، أصبح المؤرخون يقتحمون ميدان دراسة الزمن الراهن، وذلك بفتح المعرفة التاريخية على التاريخ القريب، مع ما تقتضيه هذه العملية من جهد منهجي من حيث مقاربة زمن حي، فائر ومتوتر؛ فعادة ما يُدخله المؤرخون التقليديون في عداد ما هو سياسي أكثر مما هو تاريخي.

سنحاول في هذا المقال مناقشة إشكالية كتابة تاريخ الزمن الراهن، مبرزين السياق العام لظهور هذا الحقل بمجموعة من الدول، والسجال الذي دار ويدور بين المؤرخين حول دراسة هذه الحقبة، ومركزين على التجربة المغربية في هذا الميدان.

وقد استعننا في بناء مقالنا هذا بما كتبه المؤرخ الفرنسي François Bédarida؛ الذي تناول الموضوع في مناسبات عدة، مخلفاً مجموعة من الانتاجات العلمية، ومن أهمها مقال بعنوان "الزمن الراهن والاستوغرافيا المعاصرة". كما اعتمدنا على مجموعة من المراجع والمصادر الأخرى التي تناولت موضوع إشكالية كتابة الزمن الراهن.

1– السياق العام لظهور تاريخ الزمن الراهن و إشكالية تعريفه :

يعد تاريخ الزمن الراهن رافداً من روافد التاريخ، و قد تكوَّن هذا الصنف كرد فعل من طرف جماعة من المؤرخين على الأحداث السياسية التي عرفها العالم خلال القرن 20، خصوصاً المتعلقة بالأنظمة الديكتاتورية و الشمولية des régimes dictatoriaux et totalitaires، و التي خرقت بشكل سافر حقوق الإنسان[2]،كما اقترن مفهوم الزمن الراهن بظهور ما يعرف في الأدبيات السياسية ب"العدالة الانتقالية"، التي يعود سياقها إلى ظرفية ما بعد الحرب العالمية الثانية عقب محاكمة النازية (محاكمة نورمبرغ)، والتي عرفت انتشاراً واسعاً مع اندحار الحكم العسكري في اليونان والبرتغال واسبانيا في أوروبا، وخصوصاً مع سقوط الأنظمة العسكرية بأمريكا الجنوبية و نظام الفصل العنصري بجنوب إفريقيا أواخر القرن الماضي، وما تلا ذلك من متابعات وتقصي الحقائق، من خلال إطارات مثل لجنتي تقصي الحقائق في الأرجنتين سنة 1983، والشيلي سنة 1990، ولجنة الحقيقة والمصالحة الشهيرة لمعالجة جرائم حقوق الإنسان السابقة للأبارتيد بجنوب أفريقيا سنة 1995[3].

وتجدر الإشارة إلى أن تاريخ الزمن الراهن يرتبط بشكل وثيق مع استخدام الرواية الشفوية، التي دافعت عنها مدرسة شيكاكو الأمريكية منذ 1957، وبعد ست سنوات (أي 1963) تم نحت عبارة التاريخ المباشر l'histoire immédiate اعتماداً على الموروث الشفوي.

و قد ظهر مفهوم "الماضي القريب" Le passé récent بالأوساط الفرنسية في بداية السبعينيات من القـــرن الماضـــي بعد التقلب الثقافي الذي شهدته فرنســـا في شهر ماي

من سنة 1968، بسبب التدهور الاقتصادي، وانتشار موجة التشاؤم، التي لعب الفلاسفة دوراً كبيراً فيها، و بحث الفرنسيون عن الهوية، الشيء الذي أفرز مطالب اجتماعية جديدة، وبالتالي فكل هذه الحركات أدت إلى الحديث عن التاريخ القريب (أي الماضي الأكثر قربا)[4]، وظهرت في الأوساط الفكرية مجموعة من التساؤلات حول كتابة تاريخ الزمن الراهن، من قبيل المقال المعنون ب "هل يمكن فعل تاريخ ساخن؟"[5]. وكل ذلك شكل اللبنة الأولى لتأسيس معهد تاريخ الزمن الراهن، الذي خرج من رحم المركز الوطني للبحث العلمي(CNRS). واهتم المختبر الناشئ(IHTP) بدراسة العقود الأخيرة، وذلك للرقي بالبحث في مرحلة همشتها الجامعة، ففرض تاريخ الزمن الراهن نفسه في البحث على الصعيد الوطني الفرنسي وكذا العالمي، وتم إدماج الحاضر في ميدان المؤرخ انطلاقاً من نهاية السبعينيات من القرن الماضي، مما أسهم في إحداث قطيعة حقيقية مع الإسطوغرافية الفرنسية.

وقد تنامت الدعوات لتوسيع نطاق تاريخ الزمن الراهن وعدم حصره في التاريخ السياسي وتطبيقه في الحقول المختلفة من التاريخ الثقافي إلى التاريخ الحضري، ومن إنهاء الاستعمار إلى تاريخ المخططات أو المقاولات وكذا العلاقات الدولية[6]. وبذلك أصبح الطلب كثيراً على مؤرخي الراهن من طرف الدولة (خبرة، تخليد ذكرى)، والعدالة (شهادات)، والجماعات الترابية (متاحف)... وتبقى الذاكرة هي حجر الزاوية الذي يجمع بين هذه الأوراش كاملة، سواء تعلق الأمر بتدبير الصدمات الناجمة عن عنف الحرب (الحرب العالمية الثانية وحرب الجزائر) أو بالاستعمالات السياسية والاجتماعية للماضي (ذكرى مرور مائتي سنة عن الثورة الفرنسية، الثورة الطلابية لماي 1968)، مما يسهم في تجديد مسألة مسؤولية المؤرخ الاجتماعية[7].

على الصعيد المفاهيمي، يشكل الزمن الراهن فضاءً زمنياً صغيراً، ونقطة بسيطة وعابرة، فله خاصية تختفي في الوقت الذي يبدأ في الظهور فيه، فمجرد التحدث عنه نصبح في الماضي، الشيء الذي يطرح إشكالية الزمن بجميع أبعاده (ماضي – حاضر – مستقبل)، و هنا نستحضر التساؤل المشهور ل Saint Augustin: "*ما هو الزمن؟ إذا لم يسألن عنه أي شخص فأنا أعرفه، ولكن إذا ما سئلت عنه وبدأت في شرحه أكتشف أني لا أعرفه*"[8]. وبذلك فالزمن الراهن تطغى عليه المقاربة النفسية، باعتباره مكان توقيت موسع يحتوي على ذاكرة أشياء ماضية وانتظار أشياء قادمة: حاضر الماضي هو الذاكرة، وحاضر الحاضر هو الرؤيا، وحاضر المستقبل هو الانتظار[9].

وعموماً، فإن تاريخ الزمن الراهن يهتم بالماضي الأكثر قرباً من الحاضر، وبالأحداث التي مازال الفاعلون فيها على قيد الحياة وبإمكانهم الإدلاء بشهاداتهم[10]. وبالتالي فإن التاريخ الراهن ينبني على مجموعة من الثوابت؛ أولها القرب الزمني لعملية التحرير من الموضوع المتطرق إليه، وثانيها القرب الميداني بين الباحث والأزمنة موضوع الدرس[11]. والملاحظ أن الكتابة التاريخية في فترات سابقة عرفت اهتماماً بكتابة تاريخ الزمن الراهن، فهناك مجموعة من المؤرخين الجريئون خاضوا في هذا الميدان، معتمدين على مواقف الشهود و الفاعلين، أمثال توسيديد وعبد الرحمن بن خلدون، وكارل ماركس ونيكولا ميكيافلي[12].

إن التاريخ الراهن يتحول في بعض الأحيان إلى تاريخ آني لحظي، فيجد المؤرخ نفسه أمام عمل يشبه العمل الصحفي. مما يجعلنا أمام إشكالية أخرى تتجلى في حدود العلاقة بين الصحافة والتاريخ؟. إن التاريخ والصحافة يتقاطعان ولا يندمجان، يختلفان في المنهج والمصدر؛

فإذا كان الصحافي يهمه السبق لنشر الخبر ويركز على التشويق في الترويج للأحداث، فإن المؤرخ يحكمه المنهج وتقيده المصادر. ورغم ذلك فإن الصحافي ليس هو ذاك الذي يعمل دائما في تسرع بقدر ما هو ذاك الذي يتصرف في قليل من المعطيات، فالفارق بينه وبين المؤرخ هو فارق في الكم أكثر منه في الكيف[13].

هكذا نستنتج أن تاريخ الزمن الراهن اقترنت به إشكاليات متعددة، كما ارتبطت به تسميات ونعوت مختلفة؛ من قبيل التاريخ الآني والتاريخ اللحظي، وكذا التاريخ الفوري، فضلا عن التاريخ القريب والتاريخ الساخن...غير أن الذي أصبح أكثر تداولاً وأكثر استعمالاً في الدراسات والأبحاث التاريخية هو عبارة **التاريخ الفوري** وعبارة **تاريخ الزمن الراهن،** وتحيل العبارة الأولى على فترة تقارب جيلاً واحداً، أي حوالي 30 سنة الماضية، في حين يهتم تاريخ الزمن الراهن بالأعوام الخمسين أو الستين الماضية[14].

2– كتابة تاريخ الزمن الراهن، سجال بين المؤرخين

بظهور حقل الزمن الراهن، برز سجال ونقاش حاد بين المؤرخين، فانقسموا إلى فريقين؛ فريق معارض لهذا النوع من الكتابة، وفريق متحمس يبحث عن الحجج المقنعة للخوض فيه.

2–1 الموقف المعارض لكتابة تاريخ الزمن الراهن

تزعم هذا التيار مجموعة من المؤرخين الذين انتقدوا إقحام الزمن الراهن ضمن مجال التاريخ، فشككوا في مصداقية التاريخ الحاضر، وذهبوا إلى القول بأن التاريخ لا يمكن كتابته

انطلاقاً من شهادات ومذكرات وخطابات وجرائد...[15]، كما اتهم هؤلاء، حقل التاريخ بأنه يخرج عن تخصصه ويقتحم تخصصات لا حق له فيها؛ كالعلوم السياسية وعلم الاجتماع والأنتروبولوجيا.

ويذهب هذا الاتجاه إلى القول بأن تاريخ الزمن الراهن يعاني من تعارض المفردات التي تؤسسه، فالتاريخ يتخذ من الماضي مرجعاً، بينما الزمن الحاضر يتحدث عن الراهن، فهل يمكن اعتبار هذه الدراسات ممارسة تاريخية؟ [16]. كما أن أحداث الزمن الراهن لم تكتمل بعد على مستوى البناء، فالصورة غير مكتملة والمادة الأولية (المتمثلة في الأرشيفات) لم تكتمل هي الأخرى، و لم توضع رهن إشارة المؤرخين الذين يجب عليهم انتظار اكتمال بناء الماضي و أحداثه المتصلة بالحاضر[17]، ناهيك على أن المؤرخ يجد نفسه يناقش قضايا لازالت تحتاج إلى فصل قضائي، فيصبح فاعلاً في معالجة سياقات "مجتمعات الصراع ومجتمعات ما بعد الصراع"[18]، وبالتالي يجد نفسه كقاضي التحقيق Juge d'instruction. وهو أمر يتعارض مع وظيفة المؤرخ على حد تعبير Lucien Febvre.

إن الملفات التي يناقشها المؤرخ في الزمن الراهن، تتميز بحساسيتها البالغة مما يجعله لا يتجرأ –في بعض الأحيان – على الخوض فيها، خاصة وأن وسائل الإعلام – سواء منها الصحافة المكتوبة أو الوسائل السمعية البصرية– أصبحت تنافس المؤرخ بشكل كبير ولا تتردد في مناقشة هذه القضايا والملفات[19]، كما نجد أطرافاً أخرى تستغل هذا النوع من التاريخ، وأبرزها المجتمع المدني و المناضلون. والواضح أن هدف "المناضل" دون هدف المؤرخ، فالذاكرة بالنسبة لهذا الأخير مرجع للحصول على معطيات، ولا رغبة له في حث الشاهد على الحديث

عن ذاكرة معينة، لأن هدفه الوصول إلى الحقيقة وانتهى، في حين أن "المناضل" يحاول التأثير على الذاكرة لاتخاذها وسيلة للتأثير على مجرى الأحداث والإسهام في المعركة السياسية، وبالتالي فالحدث تتم قراءته بخلفيات إيديولوجية لا يتوانى كل طرف فيها عن محاولة فرض قراءاته للأحداث وتأويل سياقاتها وحصر معانيها واستخلاص عبرها، لما يقوي موقعه ويضعف من مواقع خصومه[20].

ومن الانتقادات الكبرى الموجهة لتاريخ الزمن الراهن، غياب المسافة الضرورية لمواجهة الرهانات المختلفة التي يخوض فيها المؤرخ، وإنجاز مقاربة موضوعية، والتي تفرض عليه الانفتاح على تخصصات أخرى، كالعلوم السياسية والسوسيولوجيا والاقتصاد وقطاع الصحافة...، فالمؤرخ الذي يمارس الزمن الراهن، لا يمارس التاريخ المحض وإنما يميل عمله إلى السياسة. وفي هذا الصدد كان أحد أساتذة مارك بلوك يقول لتلامذته منذ حوالي عام 1900 ما يلي: "*منذ سنة 1830 لا نتحدث عن التاريخ، وإنما عن السياسة*"[21].

لكل ذلك، تحفظ العديد من المؤرخين من خوض غمار كتابة تاريخ الزمن الراهن، ومنهم المؤرّخين الأمريكيين الذين تفادوا الخوض في التاريخ الأمريكي لما بعد الحرب العالميّة الثانية، لا سيما حرب كوريا وحرب فيتنام، فاسحين المجال للصحفيين وعلماء السياسة للكتابة في تاريخ الفترات الفارقة والتركيز على أهمّ الفاعلين فيها[22].

2–2 الموقف المؤيد لكتابة تاريخ الزمن الراهن

يتكون هذا الاتجاه من مؤرخين مارسوا ويمارسون حالياً كتابة التاريخ الراهن، ويحاولون مراراً إقناع خصومهم بجدوى الخوض في هذا الميدان، مؤكدين بأن العراقيل التي تحدثوا عنها لا تقوم على أساس؛ فالنقص في المصادر يمكن تعويضه بالاعتماد على الأرشيفات والشهادات بكل أنواعها: الأرشيفات المكتوبة، المصادر السمعية البصرية، الصحافة، الشهادات الشفوية، الانترنيت...، وبالتالي فإذا كان هناك نقص في الأرشيفات الرسمية، فإن المؤرخ له أن يستفيد من الأنواع المصدرية الأخرى لتشكيل فرضيات[23]. وبخصوص الدراسة الموضوعية، فهي قد تغيب حتى في دراسة العصور التاريخية القديمة، والتي لا علاقة لها لا بالحقبة المعاصرة ولا الراهنة. فلماذا لا تطرح هذه الانتقادات على الفترات الأكثر قدماً؟[24] وبالتالي ليس من الضروري وجود مدة أو فاصل بين الكتابة ووقوع الحدث لكي نتمكن من قياس الظواهر وتحديد معناها[25].

إن موضوع الزمن الراهن ليس قضية جديدة، بل سبقها سجال قديم حول التاريخ المعاصر، فقد كتب الايطالي Benedetto Groce سنة 1915 أن "*كل تاريخ جدير بهذا الاسم فهو معاصر*" بما أن المؤرخين يكتبون في الحاضر وأبحاثهم تغطي الماضي القريب أو الماضي البعيد[26]. كما أن أهم أقطاب مدرسة الحوليات (مارك بلوك وفرناند بروديل) كانوا متحمسين لكتابة التاريخ القريب والانفتاح على الأنتروبولوجيا والسوسيولوجيا...، غير أن حماسهم للتاريخ الجديد أخذ يتراجع مع الجيل الثاني لمدرسة الحوليات. ويمكن تفسير ذلك بالمتغيرات الكبيرة التي طرأت على العالم في نهاية ثمانينيات القرن العشرين ومطلع القرن الحادي

والعشرين[27]. وقد أوجبت هذه المتغيّرات مجتمعة رفع الحصار على تاريخ الزمن الراهن، وشاع في المقابل مصطلح "تسارع إيقاع التاريخ (...)؛ حيث أصبح التنبؤ بالمسار الذي سيتخّذه التاريخ أصعب من أيّ وقت مضى"[28]. والحاصل أنّ مصداقيّة مؤرّخ التاريخ الساخن قد تعزّزت بعد أن اتّضح للجميع أنّ حضور المؤرّخ المتخصّص من شأنه أن يساعد على استخلاص النواة الصلبة للحوادث من شوائب التقلّبات الطارئة[29].

وعموماً فإن مناصري هذا الاتجاه أجمعوا على كون الزمن الراهن صعب التحليل، وشديد الحركة، وبالتالي يحتاج الى مؤرخين متخصصين أكفاء يميطون اللثام عن حقائقه، وينقدونه من الوقوع ضحية التشويه الإعلامي[30].

3– علاقة المؤرخ بالذاكرة في كتابة تاريخ الزمن الراهن

إذا كان موضوع الذاكرة حقلاً قد استأثر منذ زمان باهتمام الفلاسفة والأدباء وعلماء النفس والأنتروبولوجيا والاجتماع، فإن مقاربة المؤرخين له جاءت متأخرة، إذ لم تتجذر إلا بعد أعمال فرناند بروديل المتعلقة بالمدة الطويلة La longue durée، وأصبح حقل التاريخ يهتم بمكانيزمات الذاكرة الجماعية، نظراً للدور الأساسي الذي أصبحت تلعبه في الوقت الحاضر في بناء – أو إعادة بناء – القوميات الوطنية بعد نهاية الحرب الباردة، وارتفاع أصوات الأقليات الاثنية والدينية واللغوية في أقطار مختلفة من المعمور[31].

اعتمد تاريخ الزمن الراهن على المصادر الشفوية، عن طريق استغلال الذاكرة الجماعية باعتبارها حاضر الماضي، وحرص المؤرخون على التعامل معها بحذر لما تنطوي عليه من

رهانات حاضرة واتصافها بالانتقائية بطبيعتها، ناهيك عن استغلالها من طرف البعض لتخليد صفحة من صفحات ماضيـــها لضـــرورات آنية أو تطلعات مستقبلية، وفي بعض الأحيان يوظَّف الأموات لخدمة رهانات الأحياء[32]، وبالتالي فالذاكرة الجماعية تبقى من نسج الخيال، الذي قد يتفق قليلاً أو كثيراً مع الواقع التاريخي، كأنه قصة أو تاريخ بتصرف [33].

إن المؤرخ قد يحيد بالتاريخ عن وظيفته المعرفية، ليلعب وظيفة الذاكرة الرامية إلى إضفاء الشرعية على برنامج معين، فكلما انتشرت حروب الذاكرة واشتدت ضراوة النقاش، كلما أصبح المؤرخ في موقف حرج وازدادت مسؤوليته جسامة، فالبعض يريده أن يمثل تحت قبة "محكمة التاريخ" في زي المحامي أو المدعي العام أو القاضي، غير أنه يتشبث بدوره كخبير يقدم تقريره – القابل للطعن والاستئناف – بعد الاستماع لمختلف الشهادات، وبعد استنطاق شتى المصادر والمراجع والوثائق التي تجود بها المكتبات ودور المحفوظات والمستندات[34].

4– تجارب أجنبية في دراسة الزمن الراهن

4–1 التجربة الفرنسية

بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، عمل الفرنسيون على تجاوز عقدة حكومة فيشي (1940–1944) تدريجياً، واقتحم المؤرخون في فرنسا ميدان دراسة التاريخ المباشر، وأبدعوا أدوات معرفية جديدة، واعتمدوا على أشكال مصدرية مستحدثة، كالصحافة، والأرشيفات بمختلف أنواعها، ومجمل الوسائل السمعية البصرية. وخلال السبعينيات اتخذت المسألة صبغة مؤسساتية حيث أسس المؤرخ فرونسوا بداريدا François Bedarida سنة 1978 معهد تاريخ الزمن الراهن Institut d'histoire du temps présent، وبدأ المعهد يشتغل

على قضايا القرن العشرين، مركزاً على المشاكل الحية التي تحرج الدولة في بعض الأحيان مثل أحداث 1968، وعقدة فيشي وقضية علاقة فرنسا بمستعمراتها.

4–2 التجربة التونسية

بعد فرنسا، انتقلت عدوى كتابة تاريخ الزمن الراهن إلى الدولة التونسية خاصة بعد سيطرة زين العابدين بن علي على الحكم سنة 1987 وتنحية الحبيب بورقيبة، فأسس التونسيون سنة 1990 معهداً خاصاً عرف ب"المعهد العالي لتاريخ الحركة الوطنية"، والذي اهتم بدراسة فترة الحبيب بورقيبة، ونظام الدولة في تونس بصفة عامة في عهد فيصل الشريف وبشير اليزيدي. وقد حققت الجامعة التونسية زخماً استوغرافياً فيما يخص مرحلة ما بعد الاستعمار رغم محدودية بعض الأبحاث، الناجمة عن اكراهات النظام السياسي. وعموماً فقد ظهر بتونس اهتمام كبير بأرشيف الاستقلال وكذا الأرشيف المكتوب والشفوي.

وقد كان اندلاع ثورة الياسمين في تونس سنة 2011 إيذاناً بـــ"*دخول التاريخ بقامته... وهامته الأسطوريّة بيوت النّاس وغرف نومهم عبر الفضائيّات ووسائل الاتصال الحديثة*"[35]، فانتاب المشاهدين إحساس بأنّهم يشاهدون الراهن، وهو يتحوّل أمام أعينهم إلى تاريخ.

5– التجربة المغربية في كتابة تاريخ الزمن الراهن

عرفت الفترة المعاصرة بالمغرب، تراكم أبحاث كثيرة أسهمت بشكل وافر في تعميق دراسة ومعرفة التطورات التي مر بها المغرب خلال القرن 19، بما فيها التحولات التي مست الدولة والمجتمع والاقتصاد، لكن المثير للانتباه أن الدراسات والأبحاث بدأت تقل بعد مجيء

الحماية، بل وتصبح نادرة في دراسة الفترات الخاصة بما بعد الاستقلال، وذلك لأسباب ذاتية وأخرى موضوعية[36].

وبذلك ظل مجال التاريخ القريب، مجال ترتاده بالأساس دراسات العلوم السياسية ومذكرات رجال الحركة الوطنية[37] والمقالات الصحفية. أما اقتحام البحث الجامعي لهذه المرحلة فقد ظل محدوداً للغاية، خاصة وأن المؤرخ يجد صعوبة في إمكانية الاطلاع على المستندات الخاصة بالمؤسسات الإدارية والحزبية والإعلامية، علماً بأن المرحلة ارتبطت بأحداث تاريخية غير موثقة بقدر يسمح بقراءات دقيقة وموثوق بها[38]، وصار في شبه الثابت أن لا يتفتق لنا عن كثير من تلك الخفايا والمسكوتات غير الكتابات الأجنبية التي يتناول بها أصحابها تاريخ المغرب، لعوامل لعل أبرزها تحرر المؤرخ الأجنبي من القيود والمحرمات[39].

لكن في السنوات الأخيرة، ومع الانفتاح السياسي الذي عرفه المغرب، أصبح بإمكان المؤرخ المهني معالجة المواضيع بحرية أكبر من أي وقت في تاريخه[40]، ويعكس ثراء وتناقضات الذاكرة المتعددة، وهي ذاكرة الحاكم وذاكرة الزعيم، وذاكرة المناضل المغمور، وذاكرة المواطن العادي، وقد يساعد ذلك على الانتقال من ذاكرة الإثارة والألغام، إلى تمثل متكامل لتحولات الحقبة المعنية ورهاناتها[41].

وبما أن الدولة المغربية في بداية عهد الملك الجديد اختارت التوجه نحو ترسيخ دولة الحق والقانون، فإن حقل تاريخ الزمن الراهن عرف نشاطاً وحيوية، مما أسهم في خلق مناخ ثقافي لممارسة حقل مفضل لدى جميع المؤرخين[42]، الذين يجب عليهم أن يمتلكوا الجرأة الفكرية لمواجهة الوثائق وجمع الشهادات[43]، واستغلال الانفراج السياسي الذي يعرفه المغرب

في العهد الجديد، مما يفسح المجال لكتابة "التاريخ الحقيقي" في فترة حساسة عرفت "بسنوات الرصاص". هذه الأخيرة التي تم الفصل في بعض ملفاتها عبر إحداث هيئة وطنية في السابع من أبريل 2004، ويتعلق الأمر ب "هيئة الإنصاف والمصالحة".

كان من بين توصيات "هيئة الإنصاف والمصالحة" إحداث مؤسسة وطنية للتوثيق والأرشفة، وإحداث مركز لدراسة تاريخ المغرب منذ الاستقلال، وتوفير شروط البحث التاريخي للباحثين والمؤرخين الشباب، وهو الشيء الذي تحقق مع تصويت البرلمان المغربي في سنة 2007 على قانون إطار حول الأرشيف، وإحداث **مؤسسة أرشيف المغرب** سنة 2011، التي يديرها إلى اليوم المؤرخ جامع بيضا، وقد حددت مهمتها في صيانة تراث الأرشيف الوطني والقيام بتكوين أرشيف عام وحفظه وتنظيمه وتيسير الاطلاع عليه. وقد تمكنت هذه المؤسسة من استرجاع واستنساخ عدد كبير من الوثائق الفرنسية التي تهم تاريخ المغرب في فترة الحماية (1912–1956) وما بعدها، وذلك من مختلف مراكز الأرشيف الفرنسية، مثل مركز الأرشيف التابع لوزارة الشؤون الخارجية بالكورنوف (la Courneuve) ضاحية العاصمة باريس، ومركز الأرشيف الديبلوماسي التابع للوزارة المذكورة بمدينة نانت (Nantes). ورغم المجهودات المبذولة من إدارة مؤسسة أرشيف المغرب إلا أنها لم تتمكن من تجميع ما بحوزة المؤسسات والأشخاص من أرشيفات، الشيء الذي يجعل الكثير منها معرضاً للتلف والضياع، كما هو الحال بالنسبة للوثائق الموجودة بحوزة الكثير من عائلات القواد. ونفس الشيء يقال عن أرشيفات البلديات والشركات والمستشفيات والموانئ وغرف التجارة والصناعة والفلاحة، وما بحوزة الأحزاب السياسية والنقابات المهنية والطلابية من وثائق مهمة. وفي حال وجدت هذه الوثائق فإن التحفظات والعراقيل الإدارية تحول دون

الاطلاع عليها. وإذا كانت هيئة الإنصاف والمصالحة[44] قد تمكنت من لملمة شتات بعض الوثائق المتعلقة بما يعرف في تاريخ المغرب الراهن ب"سنوات الرصاص"، فإن المؤرخين والباحثين الشباب مازالوا يواجهون صعوبات كثيرة في الولوج لهذا الأرشيف[45].

وعموماً فإن المجهودات التي بذلتها مؤسسة أرشيف المغرب، وكذا هيئة الانصاف والمصالحة مكنت من تجميع كميات كبيرة من الوثائق، ومن تكوين أرشيفات مفيدة ومساعدة على التأريخ للزمن الراهن بالمغرب. ومن أجل استثمار هذه العدة الوثائقية، وتنفيذاً لتوصيات هيئة الانصاف والمصالحة، وبشراكة مع المجلس الوطني لحقوق الانسان، فقد تم إحداث سلك الماستر في تاريخ الزمن الراهن بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط– أكدال، منذ أكتوبر 2010، مما مكّن من تخرج مجموعة من الباحثين المتخصصين في تاريخ المغرب الراهن، الشيء الذي حتم إحداث تكوين الدكتوراه في تاريخ الزمن الراهن ابتداءً من دجنبر 2012. وفضلاً عن ذلك تم تتويج هذه المجهودات بتأسيس **مركز تاريخ الزمن الراهن** الذي يترأسه المؤرخ الجيلالي العدناني.

أفرزت هذه المبادرات الأكاديمية تكوين عدد كبير من الباحثين الشباب، وتمكينهم من آليات ومناهج الاشتغال وطرق التعامل مع مصادر ومواضيع تتعلق بالتاريخ الراهن، كما مكنت من تحقيق تراكم كمي لمجموعة من البحوث الأكاديمية الرصينة –سواء على مستوى الماستر أو الدكتوراه–حول مختلف الأحداث والقضايا التي عرفها المغرب في تاريخه الراهن؛ ومن ذلك بحوث حول الأحزاب السياسية والنقابات المهنية وتاريخ اليسار المغربي، وأخرى حول جيش التحرير وتاريخ الانقلابات، والمسألة الدستورية، في حين ارتبطت بحوث أخرى بقضايا

اجتماعية واقتصادية؛ كقضية المرأة، والانتفاضات الاجتماعية الحضرية والقروية، وبرامج التنمية الاقتصادية...وغيرها.

ومن بين عناوين بحوث الماستر التي تم إنجازها حول تاريخ المغرب الراهن نذكر النماذج الآتية:

- **الحزب والنقابة والمخزن:** جدلية الوحدة والانشقاق من خلال نموذج علاقة الاتحاد الوطني للقوات الشعبية بالاتحاد المغربي للشغل (1959-1974).
- كارثة الزيوت المسمومة بالمغرب (1959-1960).
- قضايا النساء من خلال جريدة 8 مارس (1983 -1996).
- التاريخ الاقتصادي لمنطقة الساقية الحمراء ووادي الذهب 1884-1975.
- الحركات الاحتجاجية في تاريخ المغرب الراهن: نموذج انتفاضة فاس 1990.
- السياسات التربوية في المغرب المستقل، الإصلاحات الجامعية نموذجاً.
- المعارضة السياسية في مغرب بداية الاستقلال (1956-1961).

أما بخصوص بحوث الدكتوراه المرتبطة بتاريخ الزمن الراهن والتي نوقشت إلى حدود كتابة هذه الأسطر فنذكر ما يلي:

- أطروحة حول: الانشقاقات الحزبية والنقابية في تاريخ المغرب الراهن (1936-1999) مقاربة تاريخية.
- أطروحة حول: البناء المغاربي؛ من مؤتمر طنجة إلى اتحاد المغرب العربي (1958-2017).

- أطروحة حول: الحراك الاجتماعي في مغرب ما بعد الاستقلال (1956-1975): محاولة في التركيب.

وهناك أطروحات ستتم مناقشتها في القادم من الأيام نذكر منها:

- أطروحة بعنوان: دراسة تاريخية للشركات الاسبانية العاملة في منطقة الساقية الحمراء ووادي الذهب 1934-1975.
- أطروحة حول: الحركات الاحتجاجية في تاريخ المغرب الراهن.
- أطروحة حول: المسألة الدستورية بالمغرب 1962-1996.
- أطروحة بعنوان: مسارات النخب المخزنية والسياسية في عهد الحماية؛ امبارك البكاي لهبيل نموذجاً.
- أطروحة بعنوان: عبد الله إبراهيم بيوغرافية تاريخية واجتماعية (1918-2005)؛ جدل السياسي والفكري داخل الحقل السياسي المغربي انطلاقاً من تجربة عبد الله ابراهيم.

خاتمة

خلاصة القول، إن اقتحام بعض المؤرخين والباحثين الشباب لمجال الزمن الراهن عرف نمواً كبيراً في النصف الثاني من القرن 20 وبداية القرن 21، في حين فضل آخرون البقاء في منطقة الظل بعيدين عن حرارة هذا الحقل الجديد على مجال التاريخ. هذا الحقل الذي ارتبط ارتباطاً وثيقاً بمسألة الديموقراطية وحقوق الإنسان في هذا البلد أو ذاك، وهو ما ولد تفاوتات واختلافات بين البلدان في درجة التعاطي له وقيمة الأبحاث الناجمة عنه، خصوصاً وأن المؤرخين

يواجهون صعوبات كثيرة في التوصل بالمادة المصدرية الضرورية لممارسة مهنة مؤرخ الراهن، ومشاكل أخرى مرتبطة بالمسافة الزمنية وحساسية المواضيع التي يناقشها.

الهوامش:

1 – عبد الرحمان بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، الطبعة 1، دار يعرب، دمشق، 2004، ص.92.

2- Jamaa Baida, «Historiographie marocaine : de l'histoire contemporaine à l'histoire du temps présent », In : du protectorat à l'indépendance : problématique du temps présent, publications de la faculté des lettres Rabat, série: colloques et séminaires N°:133, 1erédition, Imprimerie Najah Eljadida, Casablanca, 2006, P.16 .

3– أحمد ويحمان، أيت سلك: إضاءة على استحقاق " جبر الضرر الجماعي "، الطبعة 1 ، 2009 ، ص 15–16 .

4 -François Bédarida, le temps présent et l'historiographe contemporaine , vingtième siècle , Revue d'histoire 69 janvier – mars 2001, P.154.

5 – Ibid.

6 – Ibid.

7 – محمد حبيدة، المدارس التاريخية: برلين–السوربون–استراسبورغ من المنهج إلى التناهج، دار الأمان، الرباط، 2019، ص ص.199–200.

8 – Ibid, P.156.

9 – Ibid.

10 - Jamaa Baida, Op.Cit, P.16.

11– جان لاكوتور، "التاريخ الآني"، ضمن كتاب التاريخ الجديد، إشراف جاك لوكوف، ترجمة محمد الطاهر المنصوري، الطبعة الأولى، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2007، ص.368.

12 - Abdelahad sebti, «Histoire et présent : Interrogations sur la distance et la proximité», In : du protectorat à l'indépendance : problématique du temps présent, publications de la faculté des lettres Rabat, série: colloques et séminaires N°:133, 1erédition, Imprimerie Najah Eljadida, Casablanca, 2006, P.53

13– جان لاكوتور، "التاريخ الآني"، مرجع سابق، ص.372.

14– فتحي ليسير، تاريخ الزمن الراهن: عندما يطرق المؤرخ باب الحاضر، الطبعة الأولى، دار محمد علي للنشر، صفاقس، 2012، ص ص،36–46.

15 - Mohammed Elyadi, «Temps présent et étude du mouvement nationaliste», In: du protectorat à l'indépendance : problématique du temps présent, publications de la faculté des lettres Rabat, série: colloques et séminaires N°:133, 1erédition, Imprimerie Najah Eljadida, Casablanca, 2006, p.128.
16- Jamaa Baida, Op.Cit, P.17.
17- Ibid, P.16.

18- أحمد ويحمان، مرجع سابق، ص.17.

19- Mohammed Kenbib, « Présentation générale », In: du protectorat à l'indépendance: problématique du temps présent, publications de la faculté des et séminaires N°:133, 1erédition, Imprimerie Najah lettres Rabat, série: colloques Eljadida, Casablanca, 2006, p.7.

20- السياق التاريخي الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان بالمغرب ، منشورات المجلس الاستشاري لحقوق الانسان ، 2009- ، ص 10.

21- Jamaa Baida, Op.Cit, P.17.

22- فتحي ليسير، تاريخ الزمن الراهن، مرجع سابق، ص.18.

23- Ibid.
24- Ibid.
25- François Bédarida, Op.Cit, P.155.
26- Jamaa Baida, Op.Cit, P.17.

27- فتحي ليسير، م.س، ص.27.

28- نفسه.

29- نفسه، ص.28.

30- François Bédarida, Op.Cit, P.155.

31- جامع بيضا، ورقة الاتصال للجمعية المغربية للبحث التاريخي، العدد 13، أكتوبر 2001، ص.71.

32- عبد الاحد السبتي، ورقة الاتصال للجمعية المغربية للبحث التاريخي، العدد 13، أكتوبر 2001، ص.62.

33- جامع بيضا، ورقة الاتصال لمجلة الجمعية المغربية للبحث التاريخي، م،س، ص.67.

34- نفسه، ص.72.

35- فتحي ليسير، م.س، ص.7.

36- Mohammed Kenbib, « Présentation générale », In: du protectorat à l'indépendance: problématique du temps présent, publications de la faculté des lettres Rabat, série: colloques et séminaires N°:133, 1erédition, Imprimerie Najah Eljadida, Casablanca, 2006, p.7.

37- تطرح مؤلفات بعض رجال الحركة الوطنية سؤال الموضوعية، ذلك أن الخبر يتعرض في بعض الأحيان لبعض التحريف، وكذا ادعاء الأسبقية للحزب في لعب الأدوار الطلائعية تاريخياً من أجل تملك الأحداث البطولية، وكل ذلك يشكل امتيازاً يتم توظيفه من الناحية الايديولوجية في الاختلاف والصراع الحزبي، وفي البحث عن المشروعية، فيصبح الهوى دافعاً رئيساً للرواية وتزوير الوقائع والأحداث.

38- السياق التاريخي للانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان بالمغرب، مرجع سابق، ص.10.

39- بيير فيرمورين، تاريخ المغرب منذ الاستقلال، ترجمة عبد الرحيم حزل، إفريقيا الشرق، 2009، ص.5.

40- عنف الدولة، منشورات المجلس الاستشاري لحقوق الإنسان، الرباط، 2009، ص.10.

41- عبد الأحد السبتي، ورقة الاتصال لمجلة الجمعية المغربية للبحث التاريخي، مرجع سابق، ص.65.

42- Jamaa Baida, Op.Cit, P.18.

43- Abdelahad sebti, «Histoire et présent: Interrogations sur la distance et la proximité», Op.Cit, P.53.

44- **هيئة الإنصاف والمصالحة:** هي لجنة تم تنصيبها من طرف الملك محمد السادس في 7 يناير 2004، وذلك من أجل الكشف عن مصير ضحايا الاعتقال التعسفي والاختفاء القسري، أحياء كانوا أم متوفين، إضافة إلى مواصلة تحديد التعويضات للضحايا أو أصحاب الحقوق، والعمل على جبر باقي الأضرار المادية والمعنوية، بما في ذلك تقديم الحلول للمشاكل الصحية والاجتماعية والادارية. وبعد انتهاء مهام هذه الهيئة تم حلها في دجنبر 2005.

45- صالح شكاك، "من المغرب المعاصر إلى المغرب الراهن، إشكاليات الاستمرارية والتحول"، التاريخ ومهام المؤرخ، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 158، تنسيق محمد كنبيب، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2009، ص.55.

المصادر والمراجع المعتمدة

- **بالعربية :**

1. عبد الرحمان بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، الطبعة 1، دار يعرب، دمشق، 2004.
2. أحمد ويحمان، أيت سلك، إضاءة على استحقاق "جبر الضرر الجماعي" الطبعة 1، 2009.
3. مجموعة من الباحثين، السياق التاريخي للانتهاكات الجسيمة لحقوق الانسان بالمغرب، منشورات المجلس الاستشاري لحقوق الإنسان، "سلسلة دراسات وندوات هيئة الإنصاف والمصالحة"، 2009.

4. مجموعة من الباحثين، عنف الدولة، أشغال الندوة المنظمة من طرف هيئة الإنصاف والمصالحة 2004، منشورات المجلس الاستشاري لحقوق الإنسان، سلسلة "دراسات وندوات هيئة الإنصاف والمصالحة"، 2009.

5. مجموعة من المؤرخين بتنسيق من الأستاذ محمد كنبيب، من الحماية إلى الاستقلال، إشكالية الزمن الراهن، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، العدد 133، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة 1، 2006.

6. مجموعة من المؤرخين، ورقة الاتصال للجمعية المغربية للبحث التاريخي العدد 13، أكتوبر 2001.

7. محمد حبيدة، المدارس التاريخية: برلين–السوربون–استراسبورغ من المنهج إلى التناهج، دار الأمان، الرباط، 2019.

8. جان لاكوتور، "التاريخ الآني"، ضمن كتاب التاريخ الجديد، إشراف جاك لوكوف، ترجمة محمد الطاهر المنصوري، الطبعة الأولى، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2007.

9. صالح شكاك، "من المغرب المعاصر إلى المغرب الراهن، إشكاليات الاستمرارية والتحول"، التاريخ ومهام المؤرخ، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 158، تنسيق محمد كنبيب، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2009.

10. فتحي ليسير، تاريخ الزمن الراهن: عندما يطرق المؤرخ باب الحاضر، الطبعة الأولى، دار محمد علي للنشر، صفاقس، 2012.

مراجع بالفرنسية

- François Bedarida, « le temps présent et l'historiographie contemporaine », vingtième siècle, revue d'histoire, 69 Janvier –mars 2001.
- Coordination Mohammed Kenbib, du protectorat **à** l'indépendance, problématique du temps présent, publications de la faculté des lettres et des sciences humaines – Rabat, N° 133, imprimerie Njah Eljadida – Casablanca, 1er édition, 2006.